The Argumentation of the Ancient Prose Discourse: The Umayyad Discourse as a Model

Muhammad Dahim[(1)*]

(1) Al al-Bayt University, Mafraq – Jordan.

Received: 14/03/2022
Accepted: 05/07/2022
Published: 03/12/2022

* *Corresponding Auther:*
mohmmad201575@yahoo.com

Abstract

The study concluded that the study of the ancient persuasive prose discourse in the Umayyad discourse as a model presented a definition of the concept of persuasive discourse and clarified its strong relationship with the rhetorical lesson. The study also touched on the concept of persuasion in rhetoric and its images, the most prominent of which were analogy, division, representation, the use of reality in persuasion, the use of the Qur'an as a means of persuasion, as well as the use of Arabic poetry as a means of persuasion. The study aims at comprehending the mechanisms of the use of persuasive discourse in the Umayyad period being described as a comprehensive technique that seeks to convince the receiver with the content of the sender's discourse. This study showed that the Umayyad speeches had included in their content mental persuasion through the use of preachers to them.

Keywords: The Use of the Qur'anic as a means of Persuasion, The Use of reality as a Means of Persuasion, Division, Analogy, A Proverb.

حِجاجِيَّة الخِطاب النَّثريّ القديم: الخطابة الأموية أنموذجًا

محمد دهيم[(١)]

(١) جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

ملخص

خَلُصت الدراسةُ إلى أنَّ بَحثُ حِجاجِيَّةِ الخِطَابِ النَّثْرِيِّ القَدِيمِ: الخَطَابَة الأُمَوِيَّة أُنْمُوذَجًا، قد قدَّم تعريفًا بِمَفْهُومِ الخِطَابِ الحِجاجِيّ، وبين علاقَتهُ الوطيدة بالدَّرسِ البلاغِيِّ، ثُمَّ تطرَّقَتْ الدراسةُ في صُلبِها إلى مفهُومِ الحِجاجِ الخَطَابِيِّ، وصُوَرِه الَّتي كانَ مِنْ أَبرَزِهَا: القِيَاسُ، والتَّقسِيمُ، والتَّمْثِيلُ، وحُجِّيَّةُ الواقِعِ، وحُجِّيَّةُ الشَّاهِدِ القُرآنيِّ، وحُجِّيَّةُ الشَّاهِدِ الشِّعرِيّ. تهدفُ الدراسةُ إلى الوقوفِ على آلياتِ اشتغالِ الخِطابِ الحِجَاجيِّ في

العصر الأمويِّ، بوصفه تقنيّةً كليّةً تسعى إلى إقناعِ المُرسَل إليه بمضمون خِطابِ المُرسِل. وقَدْ تَبَيَّنَ من خلالِ مَا أَوْرَدَتْهُ هذه الدراسة أَنَّ الخُطَبَ الأُمَوِيَّةَ قد حوتْ في مَضَامِينِهَا الحِجَاجَ العَقْلِيَّ من خلالِ توظِيفِ الخُطَبَاءِ لها.

كَلِمَاتٌ مِفْتَاحِيَّةٌ: حُجِّيَّةُ الشَّاهِدِ، حُجِّيَّةُ الواقِعِ، التَّقسِيمُ، القِيَاسُ، المَثَلُ.

الخلفية النظرية.

يستَدعِي التَّأْثِيرُ في عملية التَّخَاطبِ الإنسَانِيِّ آليَّةً محددةً بيانيَّةً فاعلَةً لِتحقِيقِ الإقناع، لذَا نَجدُ الحِجاجُ ركيزَةً أساسيةً في النُّصوصِ الموجَّهةِ المُتضَمِّنةِ للمقصَدِيَّة والنِّقَاشِ والنَّقدِ والجَدَلِ، الَّتي منها: النُّصوصُ القُرآنيَّةُ، والفلسفيَّةُ، والفِقهِيَّةُ، والأَدبيَّةُ، إلخ.

كما يُعَدُّ الرَّكيزةَ الأَسَاسَيةَ في عميلة إيصالِ الأَفكَارِ، وتَحقيقِ التواصل بينَ المُتكلِّمِ والمُتلقِّي عن طريق وسائل الإقناعِ والإثارَةِ وكذلك التَّحَاوُرِ؛ فَالحِجاجُ يُعدُّ وسيلةً من وسائلِ الإقنَاعِ المهمة للتَّعبيرِ عن الرَّأْي، وتبيان الرَّأْي الآخر المُخَالِفِ.. ويَحضرُ الحِجاجُ في أَعمالٍ كثيرةٍ ومتعددةٍ: نقديةٍ، وفلسفيةٍ، وعلمِيَّةٍ، وإعلاميَّةٍ، وقضائيَّةٍ... إلخ، الَّتي تَعتمدُ على مُقابلةِ الرَّأْي بالرَّأْي والحُجَّة بالحُجَّةِ.

ومن الدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد(دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحِجَاج)، سليمة محفوظي، رسالة ماجستير، وقد عملت على التعريف بصاحب الخُطبة، والمناسبة التي ألقى فيها هذه الخطبة، ثُمَّ تطرقت للخُطبة وبينت الخصائص اللُّغويَّة والتقنيات اللسانيَّة.

٢- آليات الحِجَاج في خطب الحَجَّاج دراسة تداولية، محمد شكيمة، رسالة ماجستير، وقد قام بالتعريف بصاحب النصوص الخطابية فقد ناقش فيها آليات الخطابة المدروسة، واستراتيجية التوجيه، وجمع آليات التضامن والتلميح في خطب "الحَجَّاج"، وناقش فيها جميع وسائل الإقناع وتقنياته اللُّغوية في مدونة الدراسة وتناول أيضا الروابط والسلالم الحجاجية فيها.

٣- الحِجَاج في كلام الحسين عليه السلام، أطروحة دكتوراه مطبوعة، ٢٠١٨م، عايد جدوع حنون، تناول الباحث فيها موضوع الحِجَاج في كلام الحسين؛ لأنه قام بنهضة كبيرة ضد الأوضاع المنحرفة، وسلَّط الضوء على كلامه في الجوانب الدلالية، والتداولية، واللُّغوية، والأسلوبية، والبيانيَّة، وفْقَ النظريات الحِجاجية، ثم وَفَّقَ بينها جميعا؛ لتصبَ في رافد واحد اصطلح عليه(المنهج الحِجاجي)؛ بغية تحليل كلام الإمام الحسين، فيحلل النصوص، ويتتبع قصدية المرسل ويسلط الضوء على كُلِّ

أبعاد النص الحِجاجي، بحسب سياقاتها الخارجية والداخلية، للكشفِ عن الآليات اللسانية الإقناعية التي بنى الإمامُ الحسين ﷺ خطاباته الحِجاجية عليها في خُطبهِ ورسائلهِ وأقوالهِ.

هدف الدراسة وأهميتها.

نُدركُ الأَهمِّيَّةُ البالغةُ لنظريَّةِ الحِجَاجِ؛ فبقدر ما يَمتلِكُ المُتكلِّمُ زمامَ الحُجَّةِ بقَدْرِ ما تَرتفعُ حُظُوظهُ في التَّأْثيرِ والإقنَاعِ، فالحُجَّةُ بها تتشَكَّلُ التَّيَّاراتُ الفكريَّةُ، والتَّوجُّهاتُ المَذهبيَّةُ، والطَّوائفُ المُتصارِعَةُ، والتَّقلُّبُ من ملَّةٍ لأُخرى.

وتِلكَ الأَهمِّيَّةُ البَالغةُ لِنظريَّةِ الحِجاجِ حفَّزتني لِبحثِ هَذهِ النَّظريَّةِ، وتطبيقها على فنٍّ عظيمٍ من فنونِ العربيَّةِ وهو الخَطابةُ الأُمويَّةُ في حِقبةٍ مهمَّةٍ ازدهرتْ فيها، في ظلِّ هذهِ الظُّروف والخِلافاتِ السِّياسيَّةِ، وواصلتْ سيرها في طريقِ الازدهارِ حتَّى عُدّت من بين الفنونِ الأَكثرِ أَهمِّيَّةً، وقدْ وصلتْ إلى أَوجِ ازدهارها، وأَصبحتْ غايةً في خِطَابهم، والتَّعبيرِ عن آرائهم، والدِّفاعِ عنها، والتَّأْثيرِ في المُتلقِّينَ؛ لِاستمالتهم إليها، وإقناعهم بها في مواقفَ الحياةِ المختلفةِ، لذلكَ يَصحُّ عدّها في هذه الحِقبةِ أنموذجًا مُكتملاً للخَطَابةِ العربيَّةِ في العصورِ السَّابقةِ.

وعلى الرَّغمِ من أَنَّ بواكير هذه الخَطَابةِ وُجِدَّتْ مُنذُ صَدر الإسلامِ، لكنْ لم تتفتَّحْ، وأَغصانها لم تورقْ إلَّا في العصرِ الأُمويِّ، حيثُ كَانَ الخَطِيبُ يَجْمَعُ في خُطبهِ بين دوائرَ متعدِّدةٍ سياسيَّةٍ، واجْتماعيَّةٍ، واقتصاديَّةٍ. لكنَّ الأَمرَ اختلفَ مع بني أُميَّة إذ ظهر جانبٌ من التَّخصُّصِ لديهم، سواءً من الخلفاءِ أم ممَّن هم من دون مرتبتهم، فتوزَّعتْ الخَطَابةُ بيِّن خَطَابةٍ سياسيَّةٍ، وخَطابة دينيَّةٍ وغيرها، وقدْ دعتْ الحاجةُ إليهَا بسببِ ما حصلَ من فِتنٍ، وسياسةٍ، وفتوحَاتٍ إسلاميَّةٍ، وكثُرتْ الوِفادةُ، والحروبُ، والتَّفاخرُ.

وجاءَتْ فكرةُ هذا البحْثِ وأَهمِّيَّته، إيمانًا بالدَّورِ العَظيمِ الَّذي قامتْ بهِ الخَطَابةُ الأُمويَّةُ بشتَّى أَنواعِها: الدِّينيَّةِ، والسِّياسيَّةِ، والوعظيَّةِ، وخَطَابَةُ الوفودِ، والحربيَّةِ وغيرها من الأَنواعِ في مُواكبةِ التَّحوُّلاتِ والتَّطوُّراتِ في الحياةِ الإسلاميَّةِ الجديدةِ.

وفي المقابل، فقدْ أَثَّرتْ هذه التَّطوُّراتِ في طبيعةِ الخَطَابَةِ العربيَّةِ وخصائصها بشكلٍ كبيرٍ، ممَّا جعَل الدراسةُ تركزُ على استخراج صور الحِجَاجِ العقليِّ المُؤَثِّرةِ في المتلقِّينَ، وتحليل هذه الصُّورِ، والوقوفِ على أَهمِّيَّتها في التَّأْثير، وإقناعِ المتلقِّي، والوصولُ إلى الغايةِ منها في مختلفِ الموضوعاتِ لدى كثيرٍ من خُطباءِ هذه الحِقبةِ.

من هنا، جَاءَ اختيارُ موضوع الدراسةِ: " **حِجَاجِيَّة الخِطَابِ النَّثْرِيِّ القَدِيمِ: الخَطَابةُ الأُمويَّةُ أُنْموذجًا**"، راجيًا أَنْ تسُدَّ هذه الدراسةُ بعضَ ما شعرتُ بهِ من نقصٍ فِي الدِّراساتِ الحِجَاجِيَّة في النَّثرِ العربيِّ القديمِ.

منهجية البحث.

ستعتمدُ الدراسةُ على المنهجُ الحِجَاجيِّ وما يمتلكهُ من إجراءاتٍ حِجَاجيَّةٍ؛ للكشفِ عن الظَّاهرةِ الحِجَاجيَّة وتحليلها ومناقشتها، والعنايةِ بدراسةِ الخَطَابةِ الأُمويَّةِ، وكيفيةِ توظيفِ الخطيبِ قدراتهِ اللُّغويَّةِ والفكريَّةِ في عمليةِ التأثيرِ والإقناعِ من خلالِ صُورُ الحِجَاجِ المنطقيِّ التي وظفها الخطباءُ في خطبهم، ودورها الإقناعيّ في المتلقِّي.

وستتبعُ الدِّراسةُ الخطواتِ الإجرائيَّةِ الآتية:

١- استقراءُ نماذجَ مختارةٍ من الخطبِ في هذه الحِقبةِ، ومعالجةِ صُور الحِجَاج المنطقيِّ ودراسة قوَّتها الحِجَاجيَّة في إقناعِ المتلقِّي .

٢- تحليلُ هذه الصُّورِ وبيان قيمتها ودورها التأثيريِّ الإقناعيِّ في المتلقِّي

٣- رصدُ الخلاصة البحثيَّة من خلال الدراسةِ.

أمَّا المدونةُ التي اخترتها بغية دراسة هذا الموضوع من الناحية التطبيقيّة فقد تمثلتْ في نصوصٍ مختارةٍ من الخَطَابة الأُمويَّة (٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٦٢ – ٧٥٠ م). وستتناول الدراسةُ :

- مفهومَ الخِطابِ الحجاجيِّ.
- العلاقةَ بين الخِطاب الإقناعيِّ والدرس البلاغيِّ .
- صورَ الحِجَاج المنطقيِّ.

مفهوم الخطاب الحجاجي.

المتأمل في المعاجمِ اللُّغويَّةِ المختلفةِ، يتبين أنَّ الحِجَاجَ والمُحاجَّةَ مصدران من فعل: "حَاجِجْ"، جاء في لسانِ العربِ، الحَجُّ: القصدُ، وحَجَّه يَحُجَّه حجًّا: أي قصدهُ، والحُجَّة: البرهانُ، والحِجَاجُ والتَّحَاج بمعنى الخصومة، يُقال: حَاجَه مُحاجَّة وحِجَاجًا: أي نازعه، وحَاججتُ فلانًا فَحججتهُ: أي غلبته بالحُجَّة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٢٢٦).

والحُجَّة في اللغةِ: تفيدُ الدليلُ، يقول الجرجاني: "الحُجَّة: ما دلَّ به على صحَّةِ الدعوى، وقيل: الحُجَّة والدليلُ واحدٌ" (الجرجاني، ١٩٨٣، ص٨٣).

والحِجَاجُ يتطلبُ وجودَ طرفين بينهما جدلٌ أو سجالٌ، ولذا فقد قال ابن منظور: "الحُجَّة ما دُوفع به الخصمُ" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ص٢٢٨). والحُجَّة: الوجه الذي يكونُ به الظفرُ لدى الخصومةِ، وهو رجلٌ محَجاج: أي جَدِلْ وحَجَّه يحجَّه حجًّا: غلبه على حجَّته، وفي الأثر: "فحجَّ آدمُ موسى" أي غلبه بالحُجَّة (الزبيدي، ١٩٦٥م، ص١٣٥٠).

وبالاستنادِ على هذه الدلالاتِ، يتضحُ أنَّ لفظَ الحِجَاج أو المحاجَّة يختصُّ بالدلالةِ على معنيين، هما: القصدُ، والإقناعُ، عن طريقِ الجدالِ بالحُجَّةِ. كما يحملُ هذا المفهوم في مضمونه دلالةً تستمدُ وجودها من الشرطِ التَّخاطبيِّ، والمتمثِّلُ في التنازعِ والتجاذبِ بين الخصومِ فدلا عن الغلبة بينهم. فنجدُ أنَّ الحِجَاجَ لدى "برلمان" و"تيتيكاه"، "هو درسُ تقنياتِ الخطابِ التي من شأنها أن تؤدي بالأذهانِ إلى التسليمِ بما يُعرضُ عليها من أطروحاتٍ، أو أنْ تزيدَ من درجةِ ذلك التسليم" (حمادي صمود، ٢٠١١م، ص ٢٩٧).

ونجدُ الحِجَاجَ لدى طه عبد الرحمن بأنَّه: "كلُّ منطوقٍ به، موجَّه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصةٍ يحقُ له الاعتراضُ عليها" (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٦)، وهو عمليةٌ تداوليةٌ اتِّصاليةٌ وجدليَّةٌ، أي "هو تداوليٌّ؛ لأنَّ طابعه الفكري مقاميٌّ واجتماعيٌّ. وهو أيضًا جدليٌّ؛ لأنَّ هدفه إقناعيٌّ قائمٌ حصولهُ وبلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البيِّنات البرهانيِّة الضَّيِّقة" (عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ص٦٥). وبهذا القصدُ يكونُ الحِجَاجُ خطابًا اقترن فيه قصدان؛ قصدُ الادِّعاء الذي اختصَّ به المتكلم نفسه، وقصدُ الاعتراضِ الذي هو يُعدُّ حقًا للمستمعِ، إضافةً إلى كونه يهدفُ إلى الإبلاغِ والإفهامِ فضلاً عن الإقناعِ.

ونجد الحِجَاج عند شاييم بيرلمان بأنَّه" جعل العقول تُذعن وتسلَّم لما يُطرح عليها من الأقوال، أو يزيد في درجة الإذعان وذلك بالتسليم، فأنجع الحِجَاج ما وفّق في جعل حدة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب" (جمال، ٢٠١٣،ص٩٨).

ويتبين من خلال هذه الدراسة في مفهوم الحِجَاج، أنَّ الحجاجَ خطابٌ إقناعيٌ يهدفُ إلى جعلِ المتلقي يُقرُّ بصحةِ موضوعٍ معينٍ، أو قضيةٍ معينةٍ، وبالتالي فالحِجَاجُ يهدفُ إلى تركِ التأثيرِ في فكر المتلقِّي، وحمله على تعديل رؤيته أو مواقفه، أو تعديل سلوكه بالاستنادِ إلى عدةِ عملياتٍ عقليةٍ تعتمدُ على مهاراتٍ منطقيةٍ فكريَّةٍ من جهةٍ، وعلى توظيفِ مهاراتِ الخِطَابِ اللُّغويَّةِ والبلاغيَّةِ من جهةٍ أخرى.

وقد أشارَ "أرسطو" إلى أهميةِ العمليةِ الحِجَاجيَّة، وأكدَّ على حاجة المجتمع إلى الجدلِ والخَطَابِة بقوله: "إنَّ الناس جميعًا يشاركون بدرجاتٍ متفاوتةٍ في كليهما (أي الجدل والخَطَابة)؛ لأنَّهم جميعًا إلى حدٍ ما يحاولون نقدَ قولٍ، أو تأييده، والدفاعِ عن أنفسهم، أو الشكوى من الآخرين" (أرسطو، ١٩٥٣، ص٢٢ و٢٣).

ولكلٍّ من هذين النوعين طريقةً حِجاجيَّةً خاصَّةً.

الأوَّلي: حِجَاجٌ جدليٌّ، والثانية: حجاجٌ خطابيٌّ. إلا أن بيَّن هذين النوعين عدة اختلافات؛ فالمحاورةُ الجدليَّةُ تُعدُّ أكثرَ ارتباطًا بالقضايا الفكريةِ والعقديَّةِ، أمَّا الحِجَاج الخطابيُّ فإنَّ مجاله يقتصرُ على توجيه الآخرين، والتأثير فيهم بُغيةَ إقناعهم.

ويرنو الحِجَاجان وبالأخصِّ الجدليين، إلى وضع التساؤل والخلاف ليكونا منبعُ الحِجَاج، للإجابة عن القضايا التي تشكِّل خلافًا متعلقًا بمواقفَ معينةٍ، ويُعدُّ السؤال والسائل في هذا المجال أكثرُ أهميةً من المجيب؛ لأنَّه انطلاقًا منهما يمكن تحديدُ معالمَ الإشكاليةِ (الأمين، ٢٠٠٨، ص٥١).

العلاقة بين الخِطاب الإقناعيّ والدَّرس البلاغيّ.

تظهر أهميةُ الدَّرس الحِجَاجيّ بارتباطه الوثيق بالتحولاتِ التي استجدت في حياة النَّاس في مختلف مجالاتِ الحياة: الفكريَّة، والعلميَّة، والاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة، و كذلك الإعلاميَّة، ونحو ذلك؛ ممَّا أسهم في خلقِ بيئة تفاعلية مفعمةً بالحوارات والجدالات التي فرضتها ظروف الانفتاح والتعددِ.

ولاشكَّ أنَّ البيئةَ التفاعليةَ الحِجَاجيَّة تتطلبُ فضاءً معرفيًا يحتويها ويحتضنها، ويجيب عن التساؤلات التي تعرِضُها، وهذا ما أسهم في تطور فرعٍ جديدٍ من علم البلاغةِ يسمى تارةً "البلاغةُ الجديدةُ"، وتارةً أخرى "الحِجَاجُ".

ويعودُ اهتمامُ البلاغيين المحدثين ببلاغةِ الخطاب الحجاجيّ إلى إيمانهم بالدَّور الخطير الذي يؤدِّيه في توجيه الرَّأي، وبلورة الفكر الحديث والمعاصر.

فالفصاحةُ هي: "ملكةُ جعل الآخرين يشاركوننا آراءنا، وطريقة تفكيرنا في شيءٍ ما، وكذلك إيصال عواطفنا الخاصَّة إليهم، وجماعُ القوى أنْ نجعلهم يتعاطفون معنا، ويجبُ أنْ نصل إلى هذه النَّتيجة بغرس أفكارنا في أذهانهم بوساطة الكلمات، وذلك بقوَّةٍ تجعلُ أفكارهم الخاصَّة تنصرف عن اتجاهها الأوَّل؛ لتتَّبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها " (العمري، ٢٠٠٢م، ص ١٣).

ومن هنا أصبح الحِجَاج في رحاب هذا التحول الجذري حاجةً أساسيَّةً في أي عمليَّةٍ تواصليةٍ تستدعي التأثير في الآخر والإقناع ونظراً للارتباط الكبير الناتج عن التلازم بين الإقناعِ والبلاغةِ

في العصر الحديث يرى "بيرلمان" أنَّ البلاغةَ مطابِقةٌ لنظريَّة الحِجَاج؛ فقد حصر الأولى في الأخيرة (الأمين، ٢٠٠٨، ص ١٠٨)، وذلك بحسبان أنَّ الإقناعَ هو ((قصدُ المتحدثِ إلى إحداثِ تغييرٍ في الموقف الفكريِّ والعاطفيِّ لدى المتلقِّي)) (بليث، ١٩٨٩، ص ٢٥ و ٢٧).

وهو محصلةٌ طبيعيةٌ لعملياتٍ فكريةٍ دقيقةٍ يسعى فيها أحدُ الطرفين للتأثير بالآخر، بغيةَ جعله خاضعًا لفكرة ما؛ وهكذا يتحقق الاقتناعُ الذي يعني القبول بالشيء، وهو يُطلق على الحالة التي يعترفُ بها الخصمُ بقبول الفكرة الجديدة واقتناعه بها بعد إقامةِ الحُجَّةُ عليه، من هنا يقال: اقتنع فلانٌ بمعنى: ((قنِع بالفكرة أو الرأي، وقبله واطمأن به)) (مجمع اللغة العربية، ٢٠١١، ص ٢٠).

وبناءً على ما سبق، يمكن القول: إنَّ الخطابَ الإقناعيَّ هو أيُّ خِطابٍ يهدفُ بشكل محدَّدٍ إلى ترك تأثير في الأفكار والاعتقادات والاتجاهات المختلفة، كما أنَّه القوَّة التي تستخدم؛ لتجعل شخصًا يقوم بعمل ما عن طريق النصح، والحُجَّةُ والمنطقُ.

وبذلك يتبين بأنَّ الحِجَاج وسيلةً من وسائلِ الخِطَاب، التي تهدفُ إلى استمالة المتلقِّي إلى الموضوعات التي تُعرضُ عليه، وتجعله يدور في مدارِ أو مجالاتِ هذه الموضوعات، بين المحتمل منها، والممكن، وكذلك الخلافي، والمتوقَّع، والمشكوك فيها؛ لكونها تبنى بالأساس على التفاعل فضلاً عن الاختلاف في الرأي، ما يعني أنها تظلُّ مفتوحةً أمامَ النقاشِ والتقويمِ، حاضرةً في جميعِ أنماطِ الخِطَاب التي تنزع منزعًا تأثيريًّا لا يقين فيه ولا إلزام (العلوي، ١٣٢٦هـ، ص٤).

ومن هنا تصل بنَّا الدراسة إلى تعريف الحِجَاجِ البلاغيِّ الإقناعيِّ بأنَّه: وسيلةً من وسائل الكشف عن المقصود بتوظيف الحُجَّة بلاغيًا؛ كي تتركَ تأثيرها في النفسِ والفكرِ معًا، والهدفُ ههنا ليس الإفهام فحسب؛ إنَّما تركُ التأثيرِ والإقناعِ بالفكرةِ المطروحةِ أو المعروضةِ.

وتشير الدراسة إلى تعددِ مستويات الخِطِاب البلاغيِّ الإقناعيِّ، فهي متنوعة بتنوع الأحوال، وقد أشار أرسطو إلى وجود ثلاثةِ أنواعً من التصديقات التي يلجأ إليها المتكلم بغيةَ تحقيق فعل الإقناع قائلاً: ((فأمَّا التصديقات التي يحتال لها بالكلام فإنَّها أنواعٌ ثلاثة، فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه))(أرسطو، ١٩٥٣م، ص٩).

وهو بذلك يؤكد أنَّ الخِطابَ الحجاجيَّ يرتبط جزءاً منه بالمتكلم الطرف الأول في المحاورة الحجاجيَّة، وجزءاً آخر بالمُخَاطبِ الطرف الثاني، ومنه ما يرتبط بمضمون الرسالة اللُّغوية ذاتها،

فممَّا يتعلق فالمتكلم فإنَّه ينبغي لـه أن يعرض فكرته بعيدًا من الإفراط والتفريط، وأمَّا في ما يتعلق بالمُخَاطب فإنَّه لا يخلو من ثلاثة أحوالٍ (السكاكي، ١٩٨٧، ص ١٧٠ و ١٧١):

١. مُخَاطب خالي الذِّهن.
٢. مُخَاطب متردِّد حائر.
٣. مُخَاطب منكر جاحد.

وهكذا فإنَّ مستوى تأكيد الفعل الخطابي تتصاعد بحسب هذا التَّرتيب، ثم إنَّ الخِطَابَ الحِجاجيَّ يرتبطُ بالفئتين الأخيرتين؛ بحسبان أنَّ التحاورَ مع المُخَاطب الشاك أو المنكر يتطلبُ توظيفَ تقنياتِ الحوارِ البيانيَّة التي تؤدي دورها في دفع الشك عن المُخَاطب، أو إقناعه والتأثير فيه.

ونظرًا لكون الحِجَاج نشاطًا عقليًّا إقناعيًّا، واستدلاليًّا على شكل خِطَابٍ يُوظِّفُ تقنياتٍ لغويَّةً وبيانيَّةً وتنظيميَّةً تسعى للتأثير في المتلقِّي لكسب تأييده وإقناعه، فقد تعددت مجالات توظيف الحِجَاج في فنون الكلام المتعددة، ومنها: الخَطَابة، والحوار... والمقالات العلميَّة، وغيرها. هذا وقد اعتمدت الدراسة نوعًا واحداً من الأنواع الحِجَاجيَّة، وهو: فن الخطابة، الذي يُعدُّ من فنون النَّثر الَّذي يهدف إلى التأثير في المتلقِّينَ وإقناعهم، فضلاً عمَّا يحتويه من جمال الصياغة، وبراعة الأسلوب، وذوق البيان.

والخطابةُ من منظورٍ حِجَاجيٍّ خطابٌ يتميزُ بأسلوبٍ خاصٍّ فضلاً عن بناءٍ محددٍ، وأهمَّ ما يميِّزُ الأسلوبُ الخطابيُّ أنَّه تأثيريٌّ وإقناعيٌّ، وإذا أردنا أن نقدم تعريفًا للخطابة فيمكن القول إنَّها: "قوةُ تتكلفُ الإقناعَ الممكنَ" (أرسطو، ١٩٥٣، ص٩).

وفعلُ الإقناعِ يستوجبُ وسائل ليصل إلى هدفه من أبرزها: الحجج والبراهين المنطقية الإقناعية. ولمَّا كان فنُ الخطابة يهدف إلى التأثير والإقناع معًا، ودفعُ الآخر إلى اتخاذ موقفٍ معيَّنٍ كان لا بد من لجوء الخطيب إلى طرقٍ إقناعيَّةٍ مختلفة تمكنه من تقديم البرهان على صدق ما يدعيه، وصواب ما يدعو إليه. واستخدامُ الخطيبُ للحِجَاجِ المنطقيِّ يبوح عن رغبةٍ في تجنب القوَّة أو الإجبار في تعديل أفكار خصومه وما يحملونه من قناعاتٍ، بل السعي إلى التأثير فيهم بطريقةٍ محببةٍ، ومنطقيةٍ، عن طريق مخاطبةِ عقولهم بتقديم الحُجَج والبراهين للوصولِ إلى الهدف الإقناعيِّ.

الصُورُ المتعددةُ للاستدلالِ الحِجاجيِّ في الخَطابةِ الأمويَّةِ.

بعد التأمل في الخُطب الأمويَّة يمكننا أنْ نلحظُ صوراً متعددةً من الاستدلالِ الحِجَاجيِّ والبراهينَ العقليَّةِ، ومن ذلك:

أولاً: القياسُ الخطابيُّ

تتسعُ دائرته ليشملَ صورَ الاستقراء كلها فضلاً عن الاستنتاج القائم على الاحتمال لا الجزم، وأولها: التَّعارض والتَّضادّ، وثانيها: التقسيمُ.

أ. التَّعارض والتَّضادّ: ومن أمثلة ذلك قول الحَجَّاج في إحدى خطبه: "زَعَمْتُمْ أَنِّي سَاحِرٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾**[طه: ٦٩] وَقَدْ أَفْلَحْتُ (أبو الحديد، ١٩٥٩م، ص٣٤٦).

ويظهرُ التعارضُ جلياً في المقتطفِ:

- لا يفلح الساحر .
- أفلح الحَجَّاج.
- هم كاذبون، لأن تصديقهم يؤدي إلى تكذيب الله، والله أكبر منهم، فيصبح هناك نتيجة ضمنية، لا مفر من أن ينكسر الأصغر والأضعف. فما تحمله الملفوظات من اقتضاء ضمني حول قضيَّة اتهام الحَجَّاج بالسحر، وما يعانون من صراعٍ داخليٍّ برزت آثاره النفسيَّة في قولهم: بأنَّه ساحرٌ؛ فطرحهم الخارجيُّ هو اتهامه بالسحر، بينما يشكل طرح الحَجَّاجِ الداخليِّ إفلاحه، فكانت حجتهم باطلة لا تصلح لإطلاقها على الحَجَّاج، فجاءت القضية الأولى إثبات الحجة، والقضية الثانية نفياً لها بل إنَّها نقيضةً لقولهم فهدمت حجتهم، ما جعلهم مثار سخريةٍ وهُزءٍ.

ونرى أيضًا في قوله: "زَعَمْتُمْ أَنِّي أَعْلَم اَلِاسْم اَلْأَكْبَر فَلِمَ تُقَاتِلُونَ مِنْ يَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟" (زكي، ١٩٣٣، ٢٩٥) وَيظهرُ فِيهِ:

- من يعلم الاسم الأكبر لا يُغلب.
- تفترضون أني أعلم الاسم الأكبر.
- أنتم مخطئون في مقاتلتي.

فيظهر القياسُ العقليُّ جليًا في قول الحَجَّاج؛ ليُظهرَ الاستهزاءُ بهم، فيسخر من طرحهم لأنهم جميعًا في نظره سفهاء، لا قيمة لهم.

ونرى في قول الأحنف بن قيس لمعاوية: "أَخَافُكَ إِنْ صَدَقْتُكَ، وَأَخَافَ اَللَّهُ إِنَّ كَذَّبْتُكَ" (ابن خلكان، ص٥٠٠).

قدَّم القولُ أطروحتين: الأولى طرْحُ الضعفاءِ (الخوف من مخلوقٍ)، والثانية أطروحةُ الأقوياءِ (الخوف من الله)؛ كما أنَّ التعارض يتمثلُ بين الملفوظين بوضعهما على المحك في الواقع والظروف

أو المقام، لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى الخاطئة. وبما دار من حوارٍ مباشرٍ بين الأحنفِ ومعاويةَ، نجدُ الأطروحة الثانية أبانت أنَّ الأولى خاطئةٌ فأقصتها، فمقامُ التعارضِ هُزِءٌ، فسخر الأحنف من طرح الضعفاء لأنهم جميعًا أشركوا بالله من خوفهم من مخلوقٍ لا ينفعُ ولا يضر، فمصيرهم بذلك الخنوع والذُّلّ.

وقد تناول زهير بن القين القياسَ المنطقيَّ؛ لإنتاجِ حُجَّةٍ عقليَّةٍ تمكنه من إقناع أهل الكوفة، وبضرورة البعد عن إيذاء الحسين بن علي –رضي الله عنهما– ومن معه فقال: "فَوَاللَّهِ لَا تَنَالُ شَفَاعَةَ مُحَمَّد ﷺ قَوْمًا هَرَقُوا دِمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَتَلُوا مِنْ نَصَرَهَمْ، وَذَبَّ عَنْ حَرِيمِهِم " (صفوت، ١٩٣٣، ص٥٥).

فأخبر زهيرٌ أهلَ الكوفةِ، بأنَّهم سيفقدون شفاعةَ النَّبيِّ ﷺ في الآخرة إذا أقدموا على محاربة الحسين بن علي – رضي الله عنهما – وقَتْلِه ومن معه من أهله ومن ناصرهم ودافع عنهم، وقد استند في ذلك على القياس المنطقي:

- لا يشفعُ محمداً ﷺ لقوم قتلوا ذريته.
- أهلُ الكوفةِ قومٌ سيقدمون على قتل ذرية الرسول ﷺ.
- إذن أهلُ الكوفةِ سيُحرمون من شفاعةِ النَّبيِّ ﷺ في الآخرة.

فيظهر قانون العدل في ذلك من خلال قوة حِجَاجيَّة تحذيرية؛ ليتجنبوا قتل الحسين ﷺ.

وقد تناولَ المسيبُ بن نجِّبه الفِزارِي القياسَ نفسه، في سياق إقناع التوابين بضرورة الثأر للحسين بن علي –رضي الله عنهما–، عن طريق قَتْلِ قاتليه أو الموالين لهم، أو أنْ يُقتلوا في طلب ذلك، فالدنيا ليست لها قيمةٌ، وعمرُ الإنسانِ قصيرٌ فقال: "العُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَم سِتُّونَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِينَا رَجُلٌ إِلَّا بَلَغَهُ" (صفوت، ١٩٣٣، ٥٨).

أتى بالحُجَّة وبقياسٍ منطقيٍّ لإقناعهم بذلك:

- من بلغ ستِّين سنةً أوشك على الموت.
- كلُّ فردٍ منهم بلغ الستِّين سنة .
- كلُّ رجلٍ منهم أوشك عمره على الانتهاء بالموت؛ ومن ثَمَّ فعليهم السعي حثيثًا لقَتْلِ من قَتَلَ الحسين، وتقاعسهم عن ذلك لن يطيل أعمارهم، ولن تموت نفسٌ قبل أنْ تستوفي أجلها، فهو بذلك يجعلُ من قياسه قوَّةً حِجَاجيَّة لتغيير أفكارهم وإقناعهم وجعلهم في حالةٍ من التسليم بما يُطرح عليهم.

ومن الأمثلة الدالة على القياسِ المنطقيِّ، استخدامُ روحُ بن زنباع القياسَ لإقناع المتلقِّين بعدم أحقية عبد الله بن الزبير للخلافة فقال: " إِنَّهُ لِابْنِ اَلزُّبَيْر: حوَارِي رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ وَابْنُ أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر اَلصِّدِّيق ذَاتِ اَلنِّطَاقَيْنِ، وَهُوَ بَعْدُ كَمَا تَذْكُرُونَ فِي قِدَمِهِ وَفَضْلِهِ، وَلَكِن اِبْن اَلزُّبَيْر مُنَافِق، وَقَدْ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ: يَزِيد وَابْنه مُعَاوِيَة بْن يَزِيد، وَسَفْكَ اَلدِّمَاءَ، وَشَقَّ عَصَا اَلْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ صَاحِبُ أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ اَلْمُنَافِقَ " (صفوت، ١٩٣٣، ٣٣٦).

وهو بذلك يجعل السُّمَّ في الدَّسم فيذكرُ من الصفات الإيجابيَّة، ثم يُلقي عليه من الصفات السلبيَّة ويتهمه بالنِّفاق؛ ليصل إلى نتيجة مقنعة للمتلقِّين ويجعلهم يستسلمون للأمر بعدم أحقية ابن الزبير في الخلافة، من هنا فقد تسلسل منطقه على الشكل الآتي:

- خليفة المسلمين ليس رجلاً منافقاً.
- عبد الله بن الزبير رجلٌ منافقٌ.
- إذاً، عبد الله بن الزبير ليس خليفةً للمسلمين.

يتضح من خلال الدراسة أنَّ القياسَ يقوم بخدمة الفكر، وهذه الخدمة تتمثل في أنَّ غايته الاستنباطَ؛ ليستقيمَ العقل مع الفكر والذي يعتمدُ عليه القياسُ اعتماداً يكاد يكون كلياً؛ ليصل إلى مرحلة الاستنتاج، ثم مرحلة التأثير والإقناع بالقبول أو الرفض، ثم مرحلة تغيير الفكر أو السلوك، ثم مرحلة تفعيل ما تم الاقتناع به قبولاً أو رفضاً.

ثَانِيًا: اَلتَّقْسِيمُ.

وهو من صفات المعاني سواءً أكان شعراً أم نثراً، وهو في الشعر: "أنْ يبتدئ الشاعرُ فيضعَ أقساماً يستوفيها، ولا يغادر قسماً منها" (قدامة ابن جعفر، ١٣٠٢، ص ٤٦)، ومثل ذلك ينطبقُ على فنون النَّثر. قال الحَجَّاجُ في إحدى خطبه: "مَالِي أَرَى عُلَمَاءكُمْ يَذْهَبُونَ، وَجُهَّالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ، وَشِرَارَكُمْ لَا يَتُوبُونَ؟" (ابن عبد ربه، ١٩٨٣م، ٢٠٦)

فالمتلقِّي لهذه المقطوعة من الخُطبة، يدركُ أنَّ الحَجَّاجَ يسعى إلى الإيحاءِ بالإحاطةِ بالموضوعِ من كلِّ جوانبه، وذلك لصرف نظر المتلقِّي عن البحثِ والتقصي، وقد استعملها بوصفها أداةً إقناعيةً لعلمه بهذه الأمور، ولم تكن غايةً في ذاتها ولكنها مسلكاً برهانياً من خلال العلاقات الرياضية بينها، فذهاب العلماء، يولِّد الجهل، والجهل يولِّد البعد عن الله، ولتقوية الحُجَّة ذكر كلَّ ما يدورُ لديهم.

ومن الأمثلة الدَّالَّة قولُ معاوية: أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ لَمْ يَرُد اَلدُّنْيَا وَلَمْ تَرِدْهُ، وَأَمَّا عُمَر

فَأَرْادَتْهُ وَلَمْ يَرُدْهَا، وَأَمَّا عُثْمَان فَنَالَ مِنْهَا وَنَالَتْ مِنْهُ، وَأَمَّا أَنَا فَمَالَتْ بِي وَمِلْتُ بِهَا" (ابن عبد ربه، ١٩٨٣م، ص١١٣).

والتَّقسيمُ، هنا، واضحٌ بذكرِ أحوالِ هؤلاءِ الخلفاءِ، وقصدُ التَّقسيم هو إقناع المتلقِّين بما فعله معاوية والتبرير لنفسه، فكما نرى هنا لا يذكر علي –كرم الله وجهه– فهو يسوِّغ ما فعله بأخذ الولاية، وهذا يدعو المتلقِّين إلى التسليم بالأمر.

وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ قَوْلُ يَزِيدَ بْن مُعَاوِيَة يَصِفُ اَلْأَيَّامَ يَقُولُ: "أَيُّهَا اَلنَّاسُ أَمْس شَاهِدٌ فَاحْذَرُوهُ، وَالْيَوْمُ مُؤَدِّبٌ فَاعْرِفُوهُ، وَغَدًا رَسُولٌ فَأَكْرِمُوهُ" (العلوي، ١٣٢٦، ص٨٩).

وهنا التَّقسيمُ يبعثُ المتلقِّي على الانتباه واليقظة، فليس هناك أكثر من هذه الأزمنة لأنَّ عُمرَ الإنسانِ ثلاثةُ أيامٍ، فهو بذلك يجعل المتلقِّي يتأثر وينتبه، ليصلَ إلى قناعةٍ مؤدَّاها الرحيل لا محالة، فيومٌ مضى كُتب فيه على الإنسان، ويوم أنت فيه هو عُمرك ومدارُ حياتك، ويومٌ قادمٌ قد تكونَ من أهله، وقد تكون من أهل الآخرة فيه، وبذلك يجعل المتلقِّي يعمل في هذا القول، وهو المقصودُ منه التأثيرُ وإقناعُ المتلقِّين واستمالتهم لهذا الأمر.

ومن التَّقسيمات المؤثرة قَوْلُ قُتَيْبَة بْن مُسْلِم: " مَنْ كَانَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْ مَالِ عَبْدِ اَللَّهْ بنْ خَازِم فَلْيَنْبِذْهُ، وَإِنْ كَانَ فِي فَمِهِ فَلْيَلْفِظهُ، وَإِنْ كَانَ فِي صَدْرِهِ فَلْيَنْفُثْهُ " (صفوت، ١٩٣٣، ٣١٣).

وهنا جاء بالتَّقسيم بطريقةِ الإحاطةِ من كلِّ جوانب الشيء، ولا شك أنَّ هذا التَّقسيم يجعلُ المتلقِّي يتأثر ويقتنع بما يُعرض عليه من خلال صرف الأذهان عن البحث، فيجعل المتلقِّي في حالةٍ من التسليم بهذا الأمر متأثراً به .

وقَدْ أَورَدَ زِيَاد بن أَبِيه التَّقسِيمَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ فَقَالَ: " اِسْتَوْصوْا بِثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ خَيْرًا: اَلشَّرِيفُ، وَالْعَالِمُ، وَالشَّيْخُ، فُوَاللَّهِ لَا يَأْتِينِي شَيْخٌ بِشَابٍّ قَدْ اِسْتَخَفَّ بِهِ إِلَّا أَوْجَعَتُهُ، وَلَا يَأْتِينِي عَالِمٌ بِجَاهِلٍ اِسْتَخَفَّ بِهِ إِلَّا نَكَّلْتُ بِهِ، وَلَا يَأْتِينِي شَرِيفٌ بِوَضِيعٍ اِسْتَخَفَّ بِهِ إِلَّا اِنْتَقَمَتُ لَهُ مِنْهُ " (صفوت، ١٩٣٣، ص ٢٧٦).

فهنا يأتي التَّقسيم بطريقة التهديد؛ لبيان أن لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وبذلك يطرح مقولته في المتلقِّين ليُنتج من ذلك طاقةً حجاجيَّةً تأثيريَّةً، تجعلُ المتلقِّين يذعنون لما يطرحه عليهم من رأي، فقد بين لهؤلاء فضله على المجتمع، من باب حفظ المقام، فعلى المتلقِّين أن يمتثلوا أمره ويرضوا به.

ثَالِثًا: اَلمَثَلُ

نجده في الفلسفة: إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في حكمه لمعنىً مشتركٍ بينهما (عوني، ٢٠١٨م، ص٤٦)،

وتقوم آلية عمل التَّمثيل في النصِّ الحِجَاجيِّ بعقد صلةٍ بين صورتين يتمكن من خلالها اجتماعهما ببيان حجته، لأنَّ قيمة التَّمثيل تعتمد على هذا الاجتماع، "ومدى تأثيره في النفس التي تميل غالباً إلى الإقناع بالصورة الإقناعية الواقعية؛ وبالنتيجة رسوخها في النفس وإذعانها، فالمشاهدةُ ذاتُ أثرُ فعالٌ في النفوس حتَّى العلم بصدق الخبر. والتَّمثيل هو تجسيدٌ لأحدِ الشيئين اللذين يقارن بينهما باتفاقِ جزيئاتٍ مشتركةٍ لهما، وهذا ما يجعله مقصوداً لطلب الفهم والإدراك وكذلك لتكثيف ما يراد إفهامه والاحتجَاج به؛ لأنَّ المتلقِّي يُدرك في أعماقه العلاقة بين الطرفين المَسُوقين تمثيلاً بشكل أسهل إذ يمكن القول: إنَّ الوظيفةَ النفسيَّةَ للمثل ملتصقةٌ فيه التصاقاً في معالجته البلاغية كافة " (صادق، ٢٠١٥، ص ١٦٨ و١٦٩).

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُلَيْمَانِ بْنْ عَبْدِ اَلْمَلِكِ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ: ((أَحْمَقُ مِنْ هَبْنَقَةْ)) (الميداني، ١٩٥٥م، ص ٢١٧)، ليقنع أهل خرسان بعدم صلاحية قتيبة بن مسلم الباهلي بإمارته عليهم، فلا يبايعونه على ذلك؛ لقسوته وظلمه وحمقه في سلوكه وتصرفاته، وقد استخدمَ المثل هنا بوصفه أداةً للتأثير والإقناع من خلال إقامة حُجَّة الحمق عليه، لتوصل بهم الإحاطة بكل وسائل الفهم من خلال أمثلة محسوسةٍ واقعيةٍ في تصرفاته، ممَّا يجعلُ المتلقِّي يزيد في درجة التسليم والاقتناع والإذعان لذلك، وقد نجح سليمان بهذه الحجة أنْ يُبرز صورةً سيئةً لقتيبة؛ ومن ثَمَّ فعلى أهل خرسان الاقتناع بعدم المبايعة والرجوع عمَّا ينوون القيام به، فالمضمون الكامن من وراء هذا الخطاب إنَّما جاء لمقصد سياسيٍّ؛ لينتزع الإمارة وبطلان المبايعة للخصم.

وحين تولى زياد بن أبيه البصرة، استخدم المثل ليعدِّل سلوك أهلها فقال: ((أَقْسَمُ بِاَللَّهِ لَآخُذَن اَلْوَلِيّ بِالْمَوْلَى، وَالْمُقِيمَ بَالْظَاعِنِ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدَبِّرِ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي، وَالصَّحِيحَ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى اَلرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ: "أَنْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيد أَوْ تَسْتَقِيم لِي قَنَاتكُمْ")) (صفوت، ١٩٣٣، ص ٢٧٢).

فقد حاول التأثيرَ في المتلقِّين وإقناعهم من خلال المثل، بانتفاء النجاة إلاَّ بالاستقامة، لترسيخِ قاعدةٍ ثابتةٍ في ذهن المتلقِّي لا يمكن إبطالها، بقوله: " أنجُ سعدٌ فقد هلك سعيدٌ "، فقد رسم صورةً حسيةً لشيءٍ ماديٍّ وهو الهلاكُ، فالمتأمل في هذا التَّمثيل يصل لصورةِ البطش والجبروت التِّي يستخدمها في ولايته، فغاية التَّمثيل إقناع المتلقِّي بالسلوك المستقيم، فوقعَ الاستدلالُ بوساطةِ الملفوظِ التصويريِّ الَّذي يرسم وجهة ولايته، ممَّا يجعلُ المتلقِّي يُذعن لذلك ويعدِّل من سلوكه، إنَّ حضور

طاقة المثل في الخطاب تجعل من قوة ترهيبية لكل من تسول نفسه بالانحراف عن المسار الصحيح كما يريده الخطيب.

وقد استعان يُوسُف بن عُمَر اَلثَّقَفِي بِالطَّاقَةِ الإِقْنَاعِيَّةِ لِلْمَثَلَيْنِ مَعًا، فَقَالَ: "إِنِّي وَاَللَّهِ مَا تَقْرِنُ بِي اَلصَّعْبَة، وَلَا يُقَعْقَع لِي بَالَشْنَّان، وَلَا أُخَوَّفُ بِالذَّنْبِ، هَيْهَاتَ! حَبِيَتُ بِالسَّاعِدِ اَلْأَشَدِّ " (صفوت، ١٩٣٣، ٣٢٥). فاتخذ منهما قوةً تأثيريةً إقناعيةً بما يتصفُ فيه من صفاتٍ قوية، تجعلُ المتلقي يُذعن ويستسلم بما عُرض عليه، فسلط بهما إمكانات الخطاب الحِجَاجيِّة الضوء على عملية التهديد التي يريدها الخطيب واختصرت التأويل فيها، وقد حدد وجهة معينة وهي إبادتهم جميعاً، فتجعل المتلقي في حالةٍ من الرهبة والخوف الشديد.

ومن الأمثلة الدَّالَّة على ذلك أيضاً ما قاله عبيد الله بن زياد، عندما عَلِمَ بكتاب الحسين ﷺ إلى أشراف البصرة يستنصرهم فقال: وَاَللَّهِ مَا تَقْرِنُ بِي اَلصَّعْبَةِ، وَلَا يُقَعْقَعُ لِي بَالَشْنَّانِ، وَإِنِّي لَنَكل مَنْ عَادَانِي، وَسُمٌّ لَمن حَارَبَنِي" (صفوت، ١٩٣٣، ٤٥).

فقد استعمل المثلين: (تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنان)، ليُظهر للمتلقِّين قوته وحضورُ ذهنه ووعيه بما يدور من دقائق الأمورِ، فقد أوردهما ليجعل المتلقِّين في حالةٍ من التأثر والخضوع بما يقوله، وأنَّه قادرٌ على هزيمةِ من يواجههُ، فبسببِ الطاقةِ الإقناعيَّةِ الموجودة في المثلين، تجعل كلَّ من يتلقَ خطابه يتأثر ويقتنع بقوته.

رَابِعًا: حُجِّيَّةُ الوَاقِع

تقوم هذه الحُجج على بنية الواقع، والهدفُ الأساسُ منها ليس إقناع الخصم بحُجَّةٍ محددةٍ، إنَّما تسويغُ الفعل أو الأمر الواقع.

ومن أمثلة ذلك خطبة معاوية ﷺ التِّي أجاب بها الوفد الذي أرسله علي ﷺ يدعوه لمبايعته قال لهم: " أَمَّا بَعْد، فَإِنَّكُمْ دَعَوْتُمْ إِلَى اَلطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَأَمَّا اَلْجَمَاعَة اَلَّتِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا فَمَعَنَا هِيَ، وَأَمَّا اَلطَّاعَةُ لِصَاحِبِكُمْ فَإِنَا لَا نَرَاهَا، إِنَّ صَاحَبَكُمْ قَتَلَ خَلِيفَتَنَا، وَفرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَآوَى ثَأْرِنَا وَقَتلَتنَا، وَصَاحِبُكُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ، فَنَحْنُ لَا نَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلَةُ صَاحِبِنَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَاب صَاحَبكُمْ؟ فَلْيَدْفَعهُمْ إِلَيْنَا فَلْنُقَتِّلْهُمْ بِهِ ثُمَّ نَحْنُ نُجِيبُكُمْ إِلَى اَلطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ " (الطبري، ١٣٨٧هـ، ص٦).

ومعاوية ﷺ يعلم تعذُّرَ التعرفِ على قَتَلَةِ عثمان ﷺ؛ بسبب كثرتهم، وتفرقهم في البلدان، ولكنَّه اتَّخذ من ذلك حُجَّةً يقفُ بها في وجه مطالب خصومه، فهي حقيقةٌ ثابتةٌ يدركها المتلقِّي ومحسوسةٌ له، فشكَّل خِطابه منطلقاً في تسويغ الخروج على علي ﷺ وإقناع الوفد وعدم إلزامهم بذلك، وهذه

الحُجَّة تكتسبُ قوَّتها الإقناعيَّةَ من خلال اتصالها بعنصر واقعيٍّ يحاول فيها الرَّبط بين أحكام مُسلَّمٍ بها وهي ولاية علي، و أحكام يسعى في خطابه إلى تأسيسها وتثبيتها وجعل حُجَّته هي المقبولة لديهم ومُسلَّم بها، بحيث لا يمكن التسليم بولاية علي من دون أن يُسلِّموا بحجَّته التي ألقاها عليهم، وهذه الحُجَّة المعروضة ما هي إلا طريقة لعرض رأيه بالواقع، لأنَّه انطلقَ في ذلك من واقعه بحسبانه أساسَ البناءِ وقاعدةَ التقويمِ.

ونلمسُ ذلك أيضاً في خطبة عبد الملك بن مروان، إذ يقول: "إِلَّا تَنْصفُونَا يَا مَعْشَرَ اَلرَّعِيَّةِ؟ تُرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمْر، وَلَمْ تَسِيرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ وَلَا فِينَا بِسِيرَةِ رَعِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَر، وَأَسْأَلُ اَللَّهَ أَنْ يُعين كُلًّا عَلَى كُلٍّ". (الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٦٥)

وهذا الاحتجاج انطلاقٌ من الواقع لمقصدِ التسويغ للأمر، وليس لإقناع المتلقِّين فهو بذلك يجعل من قوة الحُجَّة مسوغاً له ليجعل المتلقِّين في حالةٍ من الإذعان من خلال التسليم بالأمر الواقع، فقد قلب المقدمة إلى نتيجة، وجعل لهم شرطاً في ولايتهم كما يطلبون إذا تحقق، وهو أنْ يكونوا كما كانت رعايا أبي بكر وعمر.

خَامِسًا: حُجِّيَّةُ اَلشَّاهِدِ

فهو من عناصر الحِجَاج الجاهزة، فهو يحمل طاقةً معنويةً وفكريةً كبيرةً إلى جانب ما يحمله من دلالاتً بيانيَّةٍ وبلاغيَّةٍ؛ إذ به يتحققُ التصديق والاستدلال، والبرهنة على الأحداث والوقائع، ولهذا فهو يحتفظ بخصائصه المتمثِّلة في "كسب تأييد المتلقِّي في شأن قضيةٍ أو فعلٍ مرغوبٍ فيه من جهةٍ، ثُمَّ إقناعُ ذلك المتلقِّي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معاً، حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل الذي هو موضوع الخطابة.

وبهذا المعنى يصحُّ القولَ: إنَّ الحِجَاجَ البلاغيَّ هو حجاجٌ موجهٌ للقلبِ والعقلِ معاً؛ إذ يجمع بين المضمون العقليِّ للحُجَّةِ وصورها البيانيَّة (أعراب، ٢٠٠١، ص١١٠).

١) الشاهد القرآني.

ومنه ما نجده لدى الحسن بن علي –رضي الله عنهما– فهو يستعين بالقرآن لإقناع المتلقِّين بعلو منزلته، ومنزلة عشيرته وأقربائه، فيقول: أَنَا مِنْ أَهْلِ اَلْبَيْتِ، اَلَّذِينَ أَذْهَبَ اَللَّهُ عَنْهُمْ اَلرِّجْسَ وَطهَّرهُمْ تَطْهِيرًا، وَاَلَّذِينَ افْتَرَضَ اَللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُولُ: **﴿وَمِنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسنًا﴾**

[الشورى: ٢٣]، فَاقْتِرَافُ اَلْحَسَنَةِ مَوَدَّتُنَا أَهْلَ اَلْبَيْتِ " (الحمد، ١٤٢٤، ص ٨)، فاحتجَّ الحسنُ بافتراض مودة أهل البيت عن طريق الشاهد القرآنيِّ المذكور، وبيَّن مقصده في ذلك من خلال تأويل الشاهد وإقناع المتلقِّين بفرضية محبة أهل البيت ومودتهم.

ونرى عمر بن عبد العزيز يوجه جموع المتلقِّين إلى الإقلاع عن الذنوب والتخلص منها بالتوبة النَّصوح لله تعالى فيقول: " أَيُّهَا اَلنَّاسُ لَا تَسْتَصْغِرُوا اَلذُّنُوب، وَالْتَمِسُوا تَمْحِيصَ مَا سَلَفَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا، **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾**[هود: ١١٤] وَقَالَ ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اَللَّه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلَّا اَللَّه وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[آل عمران: ١٣٥]. فحاول عمر إقناع المتلقِّين لخطبته، بالمداومةِ على التوبة وأفعال الخير؛ لأنَّ التوبة ستكون سبباً في إزالة ذنوبهم ومعاصيهم، فأصبح للشاهدِ قوةً تأثيريَّةً إقناعيَّةً للمتلقِّين، ليكون سبباً في الرجوع إلى الله بالتوبة والأعمال الصالحة، فمقصد الشَّاهد دينيٌّ يحث على الرجوع إلى الله، وأنَّ الإنسان لا يقنط من غفران الله وعفوه.

وتحدَّث الضَّحَّاكُ عن تبدل الدنيا واختلاف أحوالها، وسلبها لمتع الحياة التي يتمتع بها الإنسان فيقول: "اَلْأَيَّامُ عِوَج رَوَاجَع، وَالْأَنْفُسُ يُغْدى عَلَيْهَا وِيُرَاح، وَاَللَّهُ يَقُولُ: **﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾**[الرحمن: ٢٩]، (صفوت، ١٩٣٣، ٢٣٨)، فاحتج الضَّحَّاك على تغير الدُّنيا وأحوالها، بشاهدٍ ليس فيه شكٌ من قِبل المتلقِّي، فالله يغير ولا يتغير، وعلى المتلقِّين الاقتناع والإذعان لما أخبرهم به عن الدنيا وتغيرها، فهي دار الزوال ومن يأمن جانبها يخسر.

وأبرز زعيمُ الأزارقة قطريٌّ بن الفجاءةِ، دناءةِ الدنيا وما تفعله بالإنسان، وأنَّ الحريص عليها مصيره النَّار والعقاب من الله تعالى في الآخرة فقال: "أَفْهَذَه تُؤثرُونَ، أم عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ، أم إِلَيْهَا تطْمَئِنُونَ؟ يَقُولُ اَللَّهُ جُلَّ ذِكْرهُ: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ اَلْحَيَاةَ اَلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أولئك اَلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي اَلْآخِرَةِ إِلَّا اَلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[هود: ١٥ و١٦] فَبئسَتْ اَلدَّار لمنْ يَتَّهِمُهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجِلٍ مِنْهَا" (صفوت، ١٩٣٣، ٤٥٧)، فدلَّل قطريٌّ على انقضاء الدنيا وما تفعله بالإنسان، حيثُ تبعده عن طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ، ممَّا يؤدي إلى نتيجةِ المصير المحتوم: عذابُ جهنَّم وبئس المصيرِ، وقد جاء بالشاهد القرآنيِّ من سورة هود ليجعل المتلقِّي يقتنع بحقيقة الدنيا وزوالها، وأنَّ من يجمع لها لا عقل له فكله سيزول كما زال من قبله.

وَقَدْ تَنَاوَلَ مُسْلِم بن عُقْبَة اَلشَّاهِدَ اَلْقُرْآنِيِّ عِنْدَمَا حَرَّضَ أَهْلَ اَلشَّامِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ اَلْمَدِينَةِ، حِينُ

رَفَضُوا بَيْعَةَ يَزِيد بن مُعَاوِيَة بن أَبِي سُفْيَان، فَقَالَ: "إِنَّ هَؤُلَاءِ اَلْقَوْمِ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ اَلْعَرَبِ غَيَّرُوا، فَغَيَّر اَللَّه بِهِم، فَتَمُّوا عَلَى مَا أَحْسَنَ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَلطَّاعَةِ، يُتَمِّمُ اَللَّهُ لَكُمْ أَحْسَنَ مَا يُنِيلَكُمْ مَنَّ اَلنَّصْرِ وَالْفَرج" (صفوت، ١٩٣٣، ٣٢٨)

فقام مسلمٌ بتوجيه معنى الآيةِ القرآنيَّةِ بما يتفقُ ومصلحته السِّياسيَّة، حينما حاولَ إقناع أهل الشَّام بأنَّ أهل المدينة ومن هم على شاكلتهم من العربِ غيَّروا طاعتهم لله ﷻ، والبيعة لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فكان من نتيجةِ ذلك، أنْ غيَّر الله ما كان بهم من الخير والاستقرار والأمن والأمان، واحتجَّ مسلمٌ على ذلك بمعنى قوله تعالى: **﴿إِنَّ اَللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**[الرعد: ١١]، فالله سبحانه وتعالى لم يغير ما أنعم به على عباده من أهل المدينة، إلاَّ عندما غيَّروا ما كانوا عليه من المواظبة والالتزام بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، والحرص على التمسك بشرائعه وسنة نبيه ﷺ والسيرَ على خطى وليِّ أمرهم وخليفتهم يزيد بن معاوية؛ ومن ثَمَّ فعلى أهل الشَّام الاستمرار في محاربة أهل المدينة، حتَّى يُذعنوا ليزيد بن معاوية بخلافة الإسلام والمسلمين، واختيار الشاهدِ هنا جاء لمقصدٍ تأثيريٍّ إقناعيٍّ بما يمتلكه من قوَّةٍ حِجاجيَّةٍ، يجعله مؤثراً في المتلقِّين إلى درجة الإذعان والتسليم والرضوخ لأمرهِ فجعل مضمونه سياسياً ليصل مصلحته في الولاية.

وظهر التَّلوُّنُ السِّياسيُّ، عندما حاولَ المهلبُ بن أبي صفرةَ إقناع جنوده بإعادة تنظيم صفوفهم، ومواصلة قتال الخوارج؛ حتَّى يحقِّقوا النَّصر بإذن الله ﷻ، وبعدم الاكتراثِ بمن تخاذلَ عن القتالِ، أو بمن وُصِفَ بالعيب الأخلاقيِّ، فقال: "وَاَللَّهِ مَا بِكُمْ مِنْ قِلَّةٍ، وَمَا ذَهَبَ عَنْكُمْ إِلَّا أَهْلُ اَلْجُبْنِ وَالضَّعْفِ، وَالطَّمَعُ وَالطَّبْعُ، فَإِنَّ يَمْسَسْكَمْ قرحٌ فَقَدْ مَسَّ اَلْقَوْمَ قرحٌ مَثَّلَهُ" (صفوت، ٤٤٩) فقد احتجَّ بهذا الشاهد من خلال كلامه، للإحالة على الآية القرآنيَّةِ في قول الله تعالى: **﴿إِنَّ يَمْسَسْكَمْ قرحٌ فَقَدْ مَسَّ اَلْقَوْمَ قرحٌ مثله وَتِلْكَ اَلْأَيَّامُ نُدَاوِلهَا بَيْنَ اَلنَّاسِ وَلْيَعْلَم اَللَّهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذ مِنْكُمْ شُهَدَاء وَاَللَّهُ لَا يُحِبُّ اَلظَّالِمِينَ﴾**[آل عمران: ١٤٠]، ليخبر جنوده بأنَّ ما أصابهم من تعبٍ وانكسارٍ وجِراحٍ في أثناء القتال، سيصيب به عدوهم، فلقد أورد الحُجَّة القرآنيَّةُ التي تؤكد أنَّ أهل الحق إنْ أُصيبوا بألمٍ في دفاعهم عنه، سيصيب به أيضاً من يقومون بضده، من الظالمين المُضيِّعين لشرائع الله ﷻ سواءً في الحاضر أم في المستقبل، فعقابُ الله سبحانه وتعالى واقعٌ لا محالة، وأحياناً يؤخره لحكمةٍ لا يعلمها إلا هو، واختيارُ هذا الشاهدِ يضفي طاقةً حِجاجيَّةً على الخطابِ الموجَّه للمتلقِّين بقصد إقناعهم والتأثير فيهم.

وأراد عِتَاب بن ورقاء الرَّيَّاحي، أنْ يُقنع أصحابه بضرورة الصبر والاستبسال في محاربة الخوارج، الَّذين بغوا في الأرض وقتلُوا المسلمين، فقال: "يَا أَهْلَ اَلْإِسْلَامِ: إِنَّ أَعْظَمَ اَلنَّاسِ نَصِيبًا فِي اَلْجَنَّةِ اَلشُّهَدَاءِ، وَلَيْسَ اَللَّهُ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ بِأَحْمَد مِنْهُ لِلصَّابِرِينَ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ يَقُولُ: **﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اَللَّهَ مَعَ اَلصَّابِرِينَ﴾**[الأنفال: ٤٦]، فأتى بالحُجَّةِ القرآنيَّةِ، ليؤكد لأصحابه أنَّ الله سبحانه وتعالى سيكون معهم، بشرطِ أنْ يصبروا على قتال الخوارج حتَّى وإنْ وقع منهم شهداء، فلهم الأجرُ والثوابُ العظيمُ من الله ﷻ، فهو بهذه الحُجَّة يجعلُ الأفكار تتغير، ويُحفِّز الهمم من خلال الإقناع القرآنيِّ في تثبيت رأيه، وتغيير رأي المتلقِّي.

وخطب معاوية بن أبي سفيان الجمعة في يومٍ شديدِ الحرِّ فقال: "إِنَّ اَللَّهَ ﷻ خَلْقُكُمْ فَلَمْ يَنْسَكُمْ، وَوَعْظَكُمْ فَلَمْ يُهْمِلكُمْ، فَقَالَ: **﴿يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقَوْا اَللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[آل عمران: ١٠٢] (صفوت، ١٩٣٣، ١٨٥)، فأخبر معاوية بن أبي سفيان جموع المصلين، بأنَّ الله ﷻ خلقهم ولم ينسهم، وأرشدهم إلى الطريق القويم، طريق التقوى والخوف منه، واحتجَّ بذلك بالآيةِ الكريمة السابقة؛ ليقنع المتلقِّين ويؤثِّر فيهم بطاعة الله، والبعد عن المعاصي، وهذا التأثيرُ يجعل المتلقِّي يُذعن لما يُطرح عليه من أوامر إلهيةٍ، تقوده للفوز برضوان الله تعالى .

٢) الشَّاهد الشِّعريُّ

إنَّ الشعر ديوان العرب، وهو مصدر حكمتهم، يتذوقون منه إحساسهم بالجمال، ويستخرجون منه روائع حكمتهم. وللشعر رسالةٌ اجتماعيةٌ تتكشفُ فِي قَوْلِ عُمَر بن اَلْخَطَّابْ ﷺ "أَفْضَلُ صِنَاعَاتِ اَلرَّجُلِ: "اَلْأَبْيَاتُ مِنْ اَلشِّعْرِ، يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَاتِهِ، يَسْتَعْطِفُ بِهَا قَلْبَ اَلْكَرِيمِ، وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبَ اَللَّئِيمِ" (شيخو، ١٩١٣، ١٤١)

ومن أهم ركائز الخطيب التي يرتكز عليها لبناء ثقافته هي الاهتمام بالشِّعر وحفظه وتذوقه، فمنه يجوِّد بها أسلوبه، ويفتح له مجالاتٍ رحبةً وواسعةً، لا سيما الشِّعر القديم الذي يعود على الخطيب "بغزارةِ الموادِّ، وصحَّة الاستشهاد، وكثرة النَّقل، وصقل مرآة العقلِ، وانتزاع الأمثال، والاحتذاء في اختراع المعاني على أصحِّ مثالٍ، والاطلاع على أصول اللُّغة وشواهدها" (القلقشندي، ١٩٢٢، ٢٧١).

وظاهرةُ الاستعانة بالشِّعر أمثلةً حيةً في الاستخدام الحِجَاجيِّ في الخطب وهي من الظَّواهر المُميَّزة في فن الخطابة العربيَّة، وقد بدأت منذ العصر الجاهليِّ، ولمسنا ذلك في خطبة قس بن ساعدة الأيادي (الجاحظ، البيان والتبيين، ٣٠٩)، وقد استعمل الخطيب القصيدة العربية في خطبه فيختار بيتاً، أو عدةِ أبياتٍ يوردها دعمًا لأفكاره الَّتي يأتي بها في خطبته يصور فيها لحالٍ من الأحوالِ.

ومن أمثلة ذلك خطبة الحَجَّاج الَّتي بدأها بقوله:

أَنَا اِبْنُ جَلَا، وِطْلَاعُ اَلثَّنَايَا مَتَى أَضَعُ اَلْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي (صفوت، ٢٨٨ و ٢٨٩)

ولعلَّ المتلقِّي لهذه الخطبة يجد عدداً من الشواهد الشِّعريَّةِ فيها، ولعلَّ المقصد من ذلك هو إقناع المتلقِّين لخوض الحرب ضدَّ ابن الأشعث، وذلك لما عُرف عن أهل العراق من العصيان ضدَّ الحكَّام والخلفاء، ولهذا لجأ الحَجَّاجُ للتهديدِ والوعيدِ؛ وهكذا نلمس أنَّ الحَجَّاج استعان بالشِّعر احتجاجاً بغيةَ مساندةِ أفكاره والتأثير في متلقيه وإقناعهم؛ ممَّا يجعلهم تحت الإذعان والتسليم بما يريده منهم، وايصال فكره في تهديدهم ووعيدهم لأنهم أهل للشقاق والنِّفاق.

ومن ذلك ما نراه في ردِّ ابن العاص على خطبة عبد الله بن عبَّاس، وقد أورد أبياتاً في خطبته مصوراً لحاله ومهدداً لغيره وبذلك يكون أقوى في التأثير، وأنفذ إلى القلوب فيقول:

لِسَانِي طَوِيلٌ فَاحْتَرِس مِنْ شِذَاتَهْ عَلَيْكَ، وَسَيْفِي مِنْ لِسَانِي أَطْوَلُ (صفوت، ١٩٣٣، ١١٢ و١١٣)

لذلك يسوق ابن العاص هذه الشواهد الشِّعرية مظهراً قوته ومدى دهائه، من خلال ما يوفره الشَّاهد الشِّعري من طاقةٍ حجاجيَّةٍ تجعل المتلقِّي في حالةِ إذعانٍ، فهو يستخدمه كوسيلة تحذيرية يجد المتلقي مغبة تعديه في كلِّ حال، فإن لم يأتِ المتلقي بالكلام فالسيف رادعه.

ومن الذين احتجُّوا بالشِّعر زياد بن أبيه الَّذي صرَّح للمتلقِّين، بأنَّه يحملُ جانبين أحدهما إيجابيٌّ والآخر سلبيٌّ، فعليهم الاستفادة من الإيجابيِّ وترك السلبيِّ، فهو يصف لهم حاله فيقول:: " لَا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ عَنَّا أَنَّ تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا، فَإِنَّ اَلشَّاعِرَ يَقُولُ:

اِعْمَلْ بُقُولِي وَإِنْ قَصَّرَتُ فِي عَمَلِي يَنْفَعْكُ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّرْكَ تَقْصِيرِي " (صفوت، ٢٧٦ و٢٧٧)

ليجعل من البيت الشِّعري قوةً حجاجيَّةً تؤثر وتقنع المتلقِّي، ويستقرُّ ذلك في أذهانهم؛ ممَّا يجعلهم يسيرون على خطاه ووفق نهجه، فهو يوجِّه المتلقي إلى عدم النظر إلى التقصير، بل الإنسان ينتفع بالقول ولو كان قائله مقصراً في ذلك، وما من شكٍ أنَّ اللجوء إلى الشِّعر و النَّثر معاً في الاحتجاج يقوي أسلوب الخطيب، ويزيد تأثيره في متلقيه، فإنَّ من المتلقِّين من " يعجبه حسن اللَّفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيتٍ من الشِّعرِ " (الحمد، ١٤٢٤ هـ، ص ٦٦).

الخاتمة

يتَبيَّنَ مِنْ خِلَالِ مَا أَوْرَدَتُهُ هذه الدراسةُ أَنَّ اَلْخُطَبَ اَلْأُمَوِيَّةَ قَدْ حَوَتْ في مَضَامِينِهَا الحِجَّاجَ العَقْلِيَّ، من خِلالِ توظِيفِ الخُطَبَاءِ هَذِهِ الحُجَجِ في خَطَبهم لِهَدَفِ اَلتَّأْثِيرِ والإِقْنَاعِ لدى المتلقِّين،

وَذَلِكَ من خِلَالِ تَنَوُّع في اَلتَّوْظِيفَاتِ اَلْحِجَاجِيَّةِ لمقاصدٍ يريدها الخطباء، مُسْتَفِيدِينَ بِذَلِكَ مِنْ اَلْقُوَّةِ اَلتَّأْثِيرِيَّةِ اَلْإِقْنَاعِيَّةِ لِهَذِهِ اَلتَّوْظِيفَاتِ فِي جَعْلِ اَلمُتَلَقِّينَ فِي حَالَةٍ مِنْ اَلْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيم، من خلال ما تحويه من مضامينَ كامنةٍ في خطبهم يوردها لمقصدٍ سياسيٍّ وهي الأكثرُ في ذلك؛ لتنازع الحاصلِ على الخلافةِ، وإمَّا أنْ تكون اجتماعيةً يوجِّه الخطيبُ المتلقِّين إلى شيءٍ يريد إقناعهم به في المجتمع كالاستقامة مثلاً، وإمَّا تكون لمقصدٍ دينيٍّ يورده الخطيب ليحثَّ المتلقِّين على الآخرة وإقناعهم بزوال الدنيا، وغيرها من المقاصد فكلُّ خطيب في خطابه، ينحو مقصداً ما يدعمه ويقويه؛ بغية الإفهام أو الإفحام.

المصادر والمراجع.

المصادر اَلْعَرَبِيَّةِ:

- **اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ.**
- الأَمِينُ، مُحَمَّدْ سَالِمْ، **اَلحِجَّاجُ فِي اَلْبَلَاغَةِ اَلْمُعَاصِرَةِ**، دَارُ اَلْكِتَابِ اَلْجَدِيدِ اَلْمُتَّحِدَةِ، ٢٠٠٨م.
- بِلَيْث، هِنْرِيشْ، **اَلْبَلَاغَةُ وَالْأُسْلُوبِيَّةُ نَحْوَ تَحْلِيلِ سِيمَائِي لِتَحْلِيلِ اَلنَّصِّ**، تَرْجَمَةُ مُحَمَّدْ اَلْعُمَرِيّ، اَلْمَغْرِبُ، اَلدَّارُ اَلْبَيْضَاءُ، ١٩٨٩م.
- الجَاحِظْ، عَمْرُو بن بَحر. **اَلْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ**، تَحْقِيقُ: عَبْدُ اَلسَّلَامْ هَارُونْ، بَيْرُوت، دَارُ اَلْجِيلِ، ج١، د.ت.
- ابن جَعْفَرْ، قُدَامَة، **نَقْدُ اَلشِّعْرِ**، قُسْطَنْطِينِيَّةً، مَطْبَعَةٌ اَلْجَوَائِبْ، اَلْمَكْتَبَةُ اَلشَّامِلَةُ اَلْحَدِيثَةُ، ١٣٠٢هـ.
- ابن أَبِي اَلْحَدِيدْ، **شَرْحُ نَهْجِ اَلْبَلَاغَةِ**، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدْ أَبُو اَلْفَضْلْ، دَارُ إِحْيَاءِ اَلْكُتُبِ اَلْعَرَبِيَّةِ، ج١، ١٩٥٩م.
- الحَمد، مُحَمَّدْ بْنْ إِبْرَاهِيمْ، **أَدَبُ اَلْمَوْعِظَةِ**، مُؤَسَّسَةٌ اَلْحَرَمَيْنْ اَلْخَيْرِيَّةَ، ١٤٢٤هـ.
- ابن خِلِّكَانْ، **وَفَيَاتُ اَلْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءِ أَبْنَاءِ اَلزَّمَانِ**، تَحْقِيقٌ: إِحْسَانْ عَبَّاسْ، بَيْرُوت، دَارُ اَلْفِكْرِ، ج٢.
- الزَّبَيْدِي، تَاجُ اَلْعَرُوسِ، مَجْمُوعَةُ مُحَقِّقِينَ، دَارُ اَلْهِدَايَةِ، ١٩٦٥م.
- اَلسَّكَّاكِي، **مِفْتَاحُ اَلْعُلُومِ**، تَعْلِيقُ نَعِيمِ زُرْزُورٍ، بَيْرُوت، دَارُ اَلْكُتُبِ اَلْعِلْمِيَّةِ، ١٩٨٧م.
- الشَّرِيفْ الجُرْجَانِي، **مُعْجَمُ اَلتَّعْرِيفَاتِ**، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدْ اَلْمِنْشَاوِي، اَلْقَاهِرَةُ، دَارُ اَلْفَضِيلَةِ، لا.ت.
- شِيخُو، رِزْقُ اَللَّهِ، **مَجَانِي اَلْأَدَبِ فِي حَدَائِقِ اَلْعَرَبِ**، بَيْرُوت، مَطْبَعَةُ اَلْآبَاءِ اَلْيَسُوعِيِّينَ، ج٢، ١٩١٣م.

- صَادِق، مُثَنَّىٰ كَاظِمْ، **أُسْلُوبِيَّةُ اَلْحِجَاجِ اَلتَّدَاوُلِيِّ وَالْبَلَاغِيِّ، تَنْظِيرٌ وَتَطْبِيقٌ عَلَى اَلسُّورِ اَلْمَكِّيَّةِ**، تُونِس، كَلِمَةٌ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، ٢٠١٥م.
- طَالِيسْ، أَرِسْطُو، **اَلْخَطَابَةُ**، تَرْجَمَةُ إِبْرَاهِيمْ سَلَامَة، اَلْقَاهِرَةُ، مَكْتَبَةُ اَلْأَنْجِلُو اَلْمِصْرِيَّةِ، ١٩٥٣م.
- صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب**، بيروت، المكتبة العلمية، ج٢، ١٩٣٣م.
- صُمُود، حَمَّادِي، **أَهَمَّ نَظَرِيَّاتِ اَلْحِجَاجِ فِي اَلتَّقَالِيدِ اَلْغَرْبِيَّةِ مِنْ أَرِسْطُو إِلَى اَلْيَوْمَ**، مَنْشُورَاتُ كُلِّيَّةُ اَلْآدَابِ مَنُوبِيَّة، لاط، ٢٠١١م.
- الطَّبَرِي، **تَارِيخُ اَلطَّبَرِي (تَارِيخُ اَلرُّسُلِ وَالْمُلُوكِ)**، بَيْرُوت، دَارُ اَلتُّرَاثِ، ج٥، ١٣٨٧هـ.
- طَهْ، عَبْدُ اَلرَّحْمَنْ، **اللسان والْمِيزَانُ أَوْ اَلتَّكُوثُرْ اَلْعَقْلِيَّ**، اَلدَّارُ اَلْبَيْضَاءُ، اَلْمَرْكَزُ اَلثَّقَافِيُّ اَلْعَرَبِيُّ، ١٩٩٨م.
- طَهْ، عَبْدُ اَلرَّحْمَنْ، **فِي أُصُولِ اَلْحِوَارِ وَتَجْدِيدِ عِلْمِ اَلْكَلَامِ**، اَلدَّارُ اَلْبَيْضَاءُ، اَلْمَرْكَزُ اَلثَّقَافِيُّ اَلْعَرَبِيُّ، ٢٠٠٠م.
- ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ **اَلْعِقْدُ اَلْفَرِيدُ**، تَحْقِيقٌ: عَبْدُ اَلْمَجِيدْ اَلتَّرْحِينِي، بَيْرُوت، دَارُ اَلْكُتُبِ اَلْعِلْمِيَّةِ، ١٩٨٣م.
- العُلْوِيَّ، جَعْفَرْ بْنْ اَلسَّيِّدْ، **مَوَاسِمِ اَلْأَدَبِ**، مِصْر، مَطْبَعَةُ اَلسَّعَادَةِ، ج ١، ١٣٢٦هـ.
- عَلْوِي، حَافَظَ إِسْمَاعِيلِيٌّ. (إِعْدَادٌ وَتَقْدِيمٌ)، **اَلْحِجَاجُ مَفْهُومَهُ وَمَجَالَاتِهِ، دِرَاسَةُ نَظَرِيَّةٍ وَتَطْبِيقِيَّةٍ فِي اَلْبَلَاغَةِ اَلْجَدِيدَةِ**، اَلْأُرْدُنُّ، عَالَمُ اَلْكُتُبِ اَلْحَدِيثِ، ٢٠١٠م.
- اَلْعُمَرِيّ، مُحَمَّدْ، **فِي بَلَاغَةِ اَلْخِطَابِ اَلْإِقْنَاعِيِّ**، اَلْمَغْرِبُ، أَفْرِيقْيَا اَلشَّرْقُ، ٢٠٠٢م.
- عوْنِي، حَامِدْ، **المِنْهَاجُ الوَاضِحُ لِلْبَلَاغَةِ**، اَلْمَكْتَبَةُ اَلْأَزْهَرِيَّةُ لِلتُّرَاثِ، ج ١، اَلْمَكْتَبَةُ اَلشَّامِلَةُ اَلْحَدِيثَةُ، ٢٠١٨م.
- القَلْقَشَنْدِي، **صُبْحُ اَلْأَعْشَى**، اَلْقَاهِرَةُ، دَارُ اَلْكُتُبِ اَلْمِصْرِيَّةِ، ج ١، ١٩٢٢م.
- مَجْمَعُ اَللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ، **المُعْجَمُ اَلْوَسِيطُ**، اَلْقَاهِرَةُ، ٢٠١١م.
- ابن مَنْظُورْ، **لِسَانُ اَلْعَرَبِ**، بَيْرُوت، دَارٌ صَادِرٍ، ١٤١٤هـ.
- المَيْدَانِيَّ، **مجمعُ الأَمْثَالِ**، بَيْرُوت، دَارُ اَلْمَعْرِفَةِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدْ مُحْيِي اَلدِّينْ عَبْدَ الحَمِّيدْ، ١٩٥٥م.

المجلات العلميّة:

- أَعْرَاب، حَبِيب، **الحِجَاجُ وَالِاسْتِدْلَالُ الحِجَاجِيّ**، مَجَلَّةُ عَالَمِ اَلْفِكْرِ،(١)، ١١٠، ٢٠٠١م.

- جعفر، صادق، **حجاجيَّة التقنيات البلاغيَّة في غزل الشِّعر الأندلسي**، جامعة ذي قار، كلية الآداب، مجلة الدراسات المستدامة، المجلد٣، (٣)، ٢٠٢١م.
- جمال، موسى، **الحِجَاج البلاغي بلاغة شايم بيرلمان وتيتكا(البلاغة الجديدة)**، جامعة البليدة، مجلة الآداب واللغات، ع٢، (٩٨)، ٢٠١٣.
- داوود سلمان، هدى، **حجاجيَّة الخطاب القصصي القرآنيِّ**، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، المجلد ٤، (٣٩)، ٢٠٢١م.
- رجا الله السلمي، عبد الرحمن، **بلاغة الخطاب الحِجَاجي في النَّثر الفني**، الخطابة في العصر الأمويّ، مجلة لأثر، (٢٩)، ديسمبر، ٢٠١٧م.
- الطيبي، كريم، **الحِجَاج في رسائل الجاحظ، مقاربة حجاجيَّة لرسالة " المعاد والمعاش"**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، (٤٨)، ٢٠٢٠م.
- عبد الله العنبكي، علي، **مسارات الإبلاغ في الخطاب الشِّعري لأبي طالب**، – اللامية مثلاً، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٦٠، (١)، ٢٠٢١م.
- عبد عطية، بشرى، **الحِجَاج في الشِّعر الأندلسي– عصر الطوائف– (حجاجيَّة الورد والنرجس لأبي بكر بن القوطية)، أنموذجًا**، مجلة التراث العلمي العربي، المجلد ٢، (٢ و٣)، ٢٠١٦م.
- يحيى القبيلي، ذكرى، **خطاب الحِجَاج وآلياته في قصة آدم**، مجلة المستنصرية، المجلد ٤٣، (٨٧)، ٢٠١٩م.

<u>الرسائل الجامعيّة:</u>

- آمال، شيخ، **البنية الحِجاجيَّة في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي**، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠١٠م.
- لخضر، هامل، **حجاجيَّة الخطاب النَّثري القديم، المقابسات للتوحيدي – أنموذجًا**–، أطروحة دكتوراه، الجزائر: كلية الآداب والفنون، جامعة وهران، ٢٠١٩م.